موقف المسلم من إذاعة الشائعات في الفتن والأزمات .

أَبُو زَيْدٍ الْعُتَيبِيُّ



أَبُو زَيْدٍ الْعُتَيبِيُّ

مَوْقِفُ المُسْلِمِ مِنْ إِذَاعَةِ الشَائِعَاتِ فِي الفِتَنِ وَالأَزَمَاتِ.

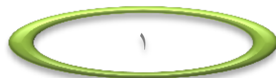
بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للّهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَالَ اللّهُ –تَعَالَى–: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً} [النِّسَاءُ: ٨٣].

لَقَدِ اشْتَمَلَتِ الآيَةُ المُبَارَكَةُ عَلَى ثَلاثَةِ مَقَاصِدَ رَئِيسِيَّةٍ: اثْنَيْنِ فِي بَيَانِ مَوْقِفِ المُسْلِمِ مِنَ الأَخْبَارِ زَمَنَ الفِتْنَةِ، وَثَالِثٍ فِي بَيَانِ السَّبِيلِ المُنْجِي مِنْ مُتَابَعَةِ الشَّيْطَانِ.



أَمَّا المَقْصَدُ الأَوَّلُ:

فَهُوَ بَيَانُ أَنَّ إِذَاعَةَ الشَّائِعَاتِ فِي الْفِتَنِ وَالأَزَمَاتِ دُوْنَ تَثَبُّتٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِيْنَ، وَضُعَفَاءِ الإِيْمَانِ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} أَيْ: أَفْشَوْهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–.

قَالَ السَّعْدِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ–: "هَذَا تَأْدِيْبٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ عَنْ فِعْلِهِمْ هَذَا غَيْرِ اللائِقِ. وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ الْمُهِمَّةِ وَالْمَصَالِحِ العَامَّةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالأَمْنِ وَسُرُورِ الْمُؤْمِنِيْنَ، أَوْ بِالْخَوْفِ الَّذِي فِيْهِ مُصِيْبَةٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَثَبَّتُوا وَلا يَسْتَعْجِلُوا بِإِشَاعَةِ ذَلِكَ الْخَبَرِ".

(تَيْسِيْرُ الكَرِيْمِ الرَّحْمَنِ، ص: ١٩٠).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي الآيَةِ-: "إِنْكَارٌ عَلَى مَنْ يُبَادِرُ إِلَى الأُمُورِ قَبْلَ تَحَقُّقِهَا، فَيُخْبِرُ بِهَا وَيُفْشِيْهَا وَيَنْشُرُهَا، وَقَدْ لا يَكُونُ لَهَا صِحَّةٌ" (تَفْسِيْرُ القُرْآنِ العَظِيْمِ: ٢/ ٣٦٥).

وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ يَؤُولُ إِلَى الْكَذِبِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" (صَحِيحٌ، مُسْلِمٌ: الْمُقَدِّمَةُ).

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنِ الْمُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَى عَنْ قِيْلٍ وَقَالَ".

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: "أَيْ: الَّذِي يُكْثِرُ مِنَ الحَدِيْثِ عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ، وَلا تَدَبُّرٍ، وَلا تَبَيُّنٍ" (تَفْسِيْرُ القُرْآنِ العَظِيْمِ: ٢/ ٣٦٥).

فَنَقْلُ الأَخْبَارِ دُوْنَ تَثَبُّتٍ مَرْكَبٌ بَئِيْسٌ يُوْصِلُ صَاحِبَهُ إِلَى كُلِّ هَلاكٍ وَضَلالٍ وَشَقَاءٍ، وَإِلَى كُلِّ نِهَايَةٍ سَيِّئَةٍ.

قَالَ رَسُولُ اللّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا" (صَحِيْحُ الجَامِعِ، رقم: ٢٨٤٦).

فَبَثُّ الشَّائِعَاتِ وَقْتَ الفِتَنِ وَالأَزَمَاتِ فِيْهِ مَفَاسِدُ كَثِيْرَاتٌ، مِنْهَا:

- إِضْعَافُ إِيْمَانِ المُؤْمِنِيْنَ وَيَقِيْنِهِمْ، وَإِضْعَافُ تَوَكُّلِهِمْ عَلَى اللّهِ، وَتَقْنِيطُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَتَبْعَثُ عَلَى عَدَمِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِاللّهِ –تَعَالَى–.

- وَمِنْهَا تَحْزِيْنُ المُؤْمِنِيْنَ، وَتَخْوِيفُهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَتَثْبِيْطٌ لَهُمْ عَنِ القِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ، وَبَثٌّ لِلرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ.



□ وَمِنْهَا اضْطِرَابُ مَصَالِحِ النَّاسِ المَعِيْشِيَّةِ، وَاسْتِغْلالُ الجَشِعِيْنَ مِن التُّجَارِ وَأَصْحَابِ المَصَالِحِ لَهَا فِي مَنَافِعِهِمْ الخَاصَّةِ مِنْ غَلاءِ الأَسْعَارِ وَاحْتِكَارِ السِّلَعِ وَنَحْوِ ذَلِك.

□ وَمِنْهَا تَتَفَشَّى الغِيْبَةُ، وَيَكْثُرُ البُهْتَانُ وَالكَذِبُ وَالافْتِرَاءُ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَسُوءُ الظُّنُونُ.

□ وَمِنْهَا يَحْصُلُ التَّضْلِيْلُ وَالتَّعْمِيَةُ مِنْ قِبَلِ الأَعْدَاءِ وَالحَاقِدِيْنَ مُسْتَغِلِّيْنَ الفَضَائِيَاتِ وَنَحْوَهَا حَتَّى يَنْتَشِرَ الجَهْلُ، وَتَغِيْبَ الحَقِيْقَةُ عَنِ النَّاسِ.

وَالمَطْلُوْبُ: التَّبَيُّنُ وَالتَّثَبُّتُ مِنَ الأَخْبَارِ فِي كُلِّ الأَوْقَاتِ وَالأَحْوَالِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، وَفِي وَقْتِ الأَزَمَاتِ وَالفِتَنِ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، كَمَا قَالَ –تَعَالَى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[الحُجُرَات: ٦].



وَمِنَ التَّبَيُّنِ مَا تَضَمَنَهُ **المَقْصَدُ الثَّانِي:**

وَهُوَ: بَيَانُ أَنَّ الوَاجِبَ إِرْجَاعُ كُلِّ خَبَرٍ إِلَى الشَّرْعِ، وَمَعْرِفَةُ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِيْنَ فِيْهِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}.

قَالَ السّعْدِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ–: "وَفِي هَذَا دَلِيْلٌ لِقَاعِدَةٍ أَدبيَّةٍ وَهِيَ أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ بَحْثٌ فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ يَنْبَغِي أَنْ يُوَلَّى مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِذَلِكَ وَيُجْعَلَ إِلَى أَهْلِهِ، وَلا يُتَقَدَّمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمِ؛ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَأَحْرَى لِلسَّلامَةِ مِنَ الخَطَأِ".

(تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: ١٩٠).



وَالْعَالِمُ الَّذِي تُسْنَدُ إِلَيْهِ الْفَتْوَى فِي النَّازِلَةِ، وَتُرَدُّ إِلَيْهِ أَخْبَارُهَا لِلنَّظَرِ فِيْهَا هُوَ مَنْ وَصفَهُ ابْنُ القَيِّمِ –رَحِمَهُ اللّهُ– بِقَوْلِهِ: "الْعَالِمُ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِه، وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ الْمُجْتَهِدُ فِي أَحْكَامِ النَّوَازِلِ يَقْصِدُ فِيْهَا مُوَافَقَةَ الأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَةِ حَيْثُ كَانَتْ" (إِعْلامُ الْمُوَقِّعِيْنَ: ٢١٢/٤).

فَإِذَا أُسْنِدَتِ الْفَتْوَى فِي النَّازِلَةِ إِلَى غَيْرِ الْعَالِمِ الرَّاسِخِ حَصَلَ الضَّلالُ وَالفَسَادُ، وَاضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ البِلادِ وَالعِبَادِ، كَمَا يُوَضِّحُ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ –صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "إِنَّ اللّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا".

(متفقٌ عَلَيْهِ).

وَقَدْ حذَّرَ النَّبيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ تَكلُّمِ الرُّوَيْبِضَاتِ وَتَصدُّرِ السُّفَهَاءِ فِي شُؤُونِ الأُمَّةِ، وَمَصَالِحِهَا العَامَّةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، عَنِ النَّبيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟

قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ يَنْطِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

(صَحِيحُ الجَامِعِ، برقم: ٣٦٥٠).



وَأَمَّا المَقْصَدُ الثَّالِثُ:

فَهُوَ فِي بَيَانِ أَنَّ المَانِعَ مِنْ مَسَالِكِ الشَّيْطَانِ فِي الْفِتْنَةِ هُوَ:

(حِفْظُ اللّهِ الْعَبْدَ؛ بِتَوْفِيقِهِ وَتَعْلِيمِهِ).

قَالَ –تَعَالَى-: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً}.

قَالَ السّعْدِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ-: "{وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} أَيْ: فِي تَوْفِيقِكُمْ وَتَأْدِيبِكُمْ، وَتَعْلِيمِكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، {لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا}".

(تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: ١٩٠).

فَالسَّبَبُ الَّذِي أَوْجَبَ حِفْظَهُمْ، وَعَدَمَ اتِّبَاعِهِمِ الشَّيْطَانَ هُوَ (التَّوْفِيقُ)، (وَالتَّعْلِيمُ).

فَاللهُ -سُبْحَانَهُ- هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَيُوَفِّقُهُمْ إِلَى مَصَالِحِ دِيْنِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ بِمَا يُدْرِكُونَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ أُصُولِ المَصَالِحِ، وَتَفَاصِيْلِهَا المَبْثُوثَةِ فِي الإِسْلامِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: "وَقَدْ دَارَتْ أَقْوَالُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ فَضْلَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ: (الإِسْلامُ)، (وَالسُّنَّةُ)".

(اجْتِمَاعُ الجُيُوشِ الإِسْلامِيَّةِ، ص: ٣ ـ ٦).

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-:

"... قَالَ مُجَاهِدٌ -رَحِمَهُ اللهُ-: "مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَعْظَمُ؛ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الأَهْوَاءِ" قُلْتُ: مِثْلُ الرَّفْضِ، وَالقَدَرِ، وَالتَّجَهُّمِ".

(سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ: ٤/٤٥٥).

و"كَانَ أَبُو العَالِيَةِ يَقُولُ: مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَفْضَلُ:

نِعْمَةِ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلامِ، وَنِعْمَةِ إِذْ لَمْ يَجْعَلْنِي حَرُورِيّاً".

(شُعَبُ الإِيْمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ: ١٢١/٤).

فَالَّذِي يُرِيدُ الأَمْنَ فِي الدَّارَيْنِ، وَالاهْتِدَاءَ التَّامَّ إِلَى المَصَالِحِ العَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَإِلَى كُلِّ مَنْفَعَةٍ مَرْجُوَّةٍ، وَالخَلاصَ مِنَ الضَرَرِ الوَاقِعِ وَالْمُتَوَقَّعِ؛ فَعَلَيْهِ بِلُزُومِ الإِسْلامِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ المَرْوَذِيُّ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ (يَعْنِي: أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَل):

"مَنْ مَاتَ عَلَى الإِسْلامِ وَالسُّنَّةِ، مَاتَ عَلَى الخَيْرِ؟

فَقَالَ: اسْكُتْ. بَلْ مَاتَ عَلَى الخَيْرِ كُلِّهِ".

(سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ: ١١/ ٢٩٦).

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يُونسُ: ٥٨].